دور السرسلطان محمد شاه آغا خان الثالث في حركة تعريب باكستان
دراسة تحليلية لخطابه الشهيرالملقى في كراتشى سنة 1951م

• د .مقيت جاويد بهتي

Abstract

Sir Agha Khan III, a renowned leader of Pakistan Movement, was an ardent supporter to the cause of Arabic Language in Pakistan. He was the first Pakistani politician who felt the need of adopting Arabic as "the National Language of Pakistan". In 1955, his famous speech delivered at the Karachi Conference of Islamic World, favoring the adoption of Arabic as national language, was a milestone in the history of Arabic in Pakistan. Besides translating his speech into Arabic, an endeavor, through this article, has also been rendered to critically analyze the main points of this historical speech.

توطئة

منذ قامت باكستان في سنة 1947م ، دامت قضية اختيار اللغة القومية في نزاع دائم بين أصحاب العلم والسياسة ، مما أجّل ظهور دستور المملكة الأول إلى بضعة سنوات.(1)

فهناك من رأى بأن اللغة البنغالية تجب بأن تكون لغة قومية لباكستان، كما ودّ كثير من السكان بأن تسدّ اللغة الأردية هذا الفراغ.

وكانت ثمة طائفة أخرى من العلماء و الزعماء السياسيين الذين قاموا، بعد شهور قليلة من إنشاء باكستان، برفع هتاف ''تعريب باكستان'' مطالبين باختيار اللغة العربية لغة رسمية وقومية في باكستان.

وأما ما دفعهم إلى هذه الرأي فهو:

أولاً: إن النزاع، في اختيار اللغة القومية، بين اللغة الأردية السائدة في باكستان الغربية واللغة البنغالية السائدة في باكستان الشرقية، قد جعل

• الاستاد المساعد بالقسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور

يستفحل دون أن يأتي حل لهذه المشكلة ، فقدم هؤلاء العلماء والزعماء اقتراح اختيار لغة ثالثة كانت لغة دينية، وثقافية ، وعلمية للمسلمين في شبه القارة الهندية والباكستانية على مر العصور.

ثانياً: ما كان هدف إنشاء باكستان إلا أن يطبق مسلمو شبه القارة شريعة ربهم ويتخذوا دينهم الإسلام كمنهج حياتهم. وذلك بلفظ مؤسس باكستان القائد الأعظم محمد علي جناح: ''نحن نريدأن نجعل باكستان مختبرا للقوانين الإسلامية''.(2)

ففي هذه الخلفية، كان لابد أن تجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية والقومية لأنها لغة دين الإسلام.

ثالثاً: إن منشئ باكستان القائد الأعظم محمد علي جناح قد أوجب، في خطبة من خطبه، على الباكستانيين أن يتعلموا اللغة العربية ، فقال مرة: ''إن اللغة الأردية هي اللغة الرسمية لباكستان، ويجب على الباكستانيين أن يتعلموا اللغة العربية حتى يتمكنوا جميعهم من التكلم والتعلم بها مستقبلاً''.(3)

وتحقيقا لهذا الهدف المنشود، قام هؤلاء العلماء والزعماء بأعمال تالية:

(1) أنشئت جمعية ثقافية عربية باكستانية تحت رعاية وزير المعارف إذ ذاك، السيد فضل الرحمان. واشترك في أول جلستها الحاكم العام خواجه ناظم الدين والذي أعلن بأنه واجب لكل العالم الإسلامي أن تكون له لغة مشتركة، وهل تكون إلا اللغة العربية.

(2) عقد مؤتمر ''جمعية حزب الله'' في مدينة سلهت من باكستان الشرقية في يناير سنة 1951 الميلادية، وأعلن من منصته بأن اللغة العربية يجب أن تعطى مكانة اللغة الرسمية لدولة باكستان.

(3) انعقد اجتماع مجلس الرابطة الإسلامية في باكستان الشرقية في نفس الشهر (يناير) وفي نفس السنة (1951م) ، وأيد فكرة تعريب دولة باكستان.

(4) عقد مؤتمر العالم الإسلامي في شهر فبرائر، سنة 1951 الميلادية، واشترك في جلستها الاختتامية السيد محمد شاه آغا خان الثالث ، وقدم فكرة جعل اللغة العربية لغة رسمية لباكستان.(4)

ويبدو أنَّ أوَّل مقال جادّ قيل لدعم اللغة العربية كلغة قومية لباكستان هو هذه الخطبة التي ألقاها السر آغا خان الثالث في اللغة الإنجليزية. ولونال رأي الإمام الإسماعيلي اهتمام السلطات المعنية إذ ذاك، لما انفصلت باكستان الشرقية كما لم ترفع النزاعات القبلية واللغوية رأسها في باكستان الغربية، إذ أن اللغة العربية تضمن الوحدة القومية من جانب، والوحدة الدينية والثقافية من جانب أخرى.(5) وقد حاولنا في مقالتنا هذه أن ندرسها دراسة مفصلة بتحليل فكره القيمة بالإضافة إلى تحويلها إلى اللغة العربية العتيقة، فقسمناها في فصلين أساسيين. وهما:

أولاً: المعطيات

(أ) الشخصية

إن شخصية آغا خان الثالث لا تحتاج إلى التعارف في الحلقات السياسية، والدينية، والاجتماعية في بلاد باكستان. كان حقا من العديد الذين كرسوا حياتهم لخدمة مسلمي شبه القارة الهندية والباكستانية في جميع المجالات، من السياسة إلى الاجتماع، ومن الثقافة إلى الرفاهية.

كان السر السلطان محمد شاه بن علي شاه الحسيني، سليل الأسرة الفاطمية، المعروف بآغا خان(6) الثالث، الإمام الثامن والأربعين للطائفة الآغاخانية الإسماعيلية. ولد في كراتشي في اليوم الثاني من نوفمبر سنة 1877 الميلادية (7) من أم كانت زوجة ثالثة لآغا خان الثاني (1830م - 1885م)، وتسمى " نواب عالية شمس الملك". لبس خلعة الإمامة بعد موت والده في سنة 1885م (8)، وهو في الثامنة أو السابعة من العمر. ولعل هذا من الأسباب التي حفزت أمه، فرعته حق رعايته، فأوكلت تربيته وتعليمه إلى عدد من المعلمين الماهرين. فنشأ على حب القراءة، والاطلاع على آداب، وفلسفات اللغات المختلفة، وما إن شب حتى أتقن في اللغات العربية، والفارسية، والتركية، والإنكليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية .

تزوج السرآغا خان الثالث أربع مرات، الأولى في سنة 1896م من سيدة إيرانية اسمها "شهزادي بيكم"، وكانت ابنة عمه آغا جنكي شاه، ثم من إيطالية اسمها تريسا ميغليانو(Theresa Magliano)، وكان له منها ابنان، مهدي خان الذي توفي في صغر عمره، وعلي سلمان خان. وبعد موت زوجته الثانية في سنة 1926م، تزوج من إمرأة فرنسية آندري جوزيفائن كارون (Andrée Joséphine Carron) في سنة 1929م، وكان له منها ابن واحد اسمه صدر الدين الذي كان رئيس لجنة الأمم المتحدة للاجئين من 1966م إلى 1978م. طلقها في سنة 1944م، ثم تزوج من فرنسية اسمها إيوت لابوغس (Yvettee Labrousse) والتي كانت تعرف باسم " أم حبيبة" أيضا، وقد دفنت جنبه في أسوان، جمهورية مصر العربية.(9)

توفي آغا خان الثالث في اليوم الحادي والعشرين من يوليو سنة 1957م، في قصره بسويسرا، ودفن، حسبما أوصى في وصيته، في مدينة أسوان بمصر. وكان والده قد دفن في مصر قبل.(10)

ولآغا خان مؤلفات عديدة، واشتهر منها كتاب "قضية الهند" ، وكتاب "الإسلام وأوربا"، كما وضع دستوراً جديداً للحركة الإسماعيلية. (11)

وإذا استعرضنا حياة السر آغا خان الثالث، نجده رجلاً نشيطا في جميع مجالات الحياة. امتدت نشاطاته من العلم إلى السياسة و

Harvard) الأمريكية سنة 1957م. (12)

وأما في المجال السياسي،فقد أنتخب عضواً في مجلس نائب الملك في 1902م، وقاد "وفد شملة" الذي زار لارد منتو الحاكم في سنة 1906م لحل مشاكل المسلمين السياسية في شبه القارة، وساهم مساهمة فعالة في إنشاء الرابطة الإسلامية في نفس السنة، وصار رئيسا لهامن سنة 1907م إلى سنة 1914م، كما اشترك في "مؤتمر المائدة المستديرة" في بريطانية سنة 1930م، وقاد وفد الهند إلى مؤتمر نزع السلاح سنة 1933م. وبالإضافة إلى ذلك ، قد قام بزيارة الكثير من الدول الأوربية والعربية ، وقابل شخصيات دولية مثل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وهتلر الألماني ، كما كانت له علاقات ودية مع الكثير من ملوك الدول ورؤسائها. و بسبب مكانته العالمية أنتخب رئيساً لعصبة الأمم سنة 1937م ، كما أعطي بجوائز ولوحات عديدة من قبل الدول، أهمها "لوحة الإمارة الإيرانية" في سنة 1949م، و"رمز بني أمية" في سنة 1951م، وجائزة "الوردة الحمراء والبيضاء" من قبل أندونيسيا في سنة 1953م.(13)

ولم يكن نشاطه في الحقل الاجتماعي أقل من نشاطه السياسي، فأقام سلسلة من دور الحضانة للأيتام وعدداً من المدارس والمعاهد، وأشرف على تأسيس الطوائف الكشفية وروابط الطلبة والأندية الاجتماعية، وتبرع بأموال كثيرة لبناء المساجد والكنائس ودور العبادة الهندوسية في مختلف أرجاء العالم. ولما انتشرت المجاعة في منطقة بومباي سنة 1897م ، قام بتوزيع المساعدات المالية والغذائية، وبنى المخيمات لإغاثة الجياع، وخصص أحد قصوره ليلجأ إليه الفقراء عند الحاجة .(14)

(ب) الظرف

أمّا الظرف الذي قيلت فيه الخطبة فهو دورة " مؤتمر العالم الإسلامي" الذي انعقد في اليوم التاسع من فبرائر، سنة 1951م، في مدينة كراتشي . وهدف الخطبة الأساسي هو تحريض الشعب الباكستاني

عامة، والحكام الباكستانيين خاصة على اختيار اللغة العربية لغة قومية لباكستان، وحثهم على الثبات عليه .

(ج) نص الخطبة

في الحقيقة، كانت الخطبة في اللغة الإنجليزية. وفيما يلي نذكر نصها الكامل المترجم إلى اللغة العربية (15) :

"سيادة الرئيس والإخوة المسلمين !

أكدكم بأنني، في حين إلقاء كلمتي عليكم هذا المساء، لست بخال من الهموم. أشعر تماما بأن ما أقول لكم سوف يجعلني غير شعبي في عيون الطبقات ذات الأهمية من سكان البلاد. على أنني أعد نفسي خاذلا للإسلام لو لم أنتهز فرصة أوجبت علي أن أقدم، في هذه الخطبة الوجيزة، فكرتي المصاحبة بما في وسعي من بيان الحجج والدلائل إلى أفراد الشعب العظيم عددا وقوة. أخاف بأن بعضا من دلائلي ربما يؤذي، بصورة لاذعة، الذين كرسوا، في ظروف مختلفة تماما، معظم حياتهم لمساعدة قضية انتهت اليوم، فيما أظن، بحلول أحوال أكبر أهمية من الأوضاع المحلومة بها في تلك الأيام.

أشعر بأن مسؤليتي بتقديم آرائي ودلائلي أمام سكان باكستان المسلمين كمجموع ـ كل واحد من الأقاليم ـ وذلك حين لم يقم أحد بخطوة ، أراها مؤسفة ومهلكة ، أضافها إلى دستور هذه المملكة ـ أكبر من مسؤلية الآخرين.

إن لغة قوم ليست التعبير عن صوته فقط، بل وسيلة التحدث مع جميع المجتمعات الإنسانية الأخرى. وقبل أن سبق السيف العذل، أنا، كشيخ مسن، ألتمس إخواني المسلمين بأن لا يقضوا قضاء نهائيا بجعل اللغة الأردية لغة قومية لباكستان. بل، بدل ذلك، عليهم أن يختاروا اللغة العربية. أرجوكم بأن تصغوا إلى دلائلي.

في البداية جحتي ضد اللغة الأردية. لو كان الجزء الآخر من إمبراطورية الهند البريطانية جعل الأردية لغته القومية، لكانت لباكستان حجة قوية بأن تحذو حذوه، إذ أنه كان من الممكن أن تكون الأردية نقطة لغوية واتصالية هامة بمملكة الجنوب الواسعة (الهند الحالية). أنا آخر رجل على الأرض يتمنى أن يهدم جسر التواصل والتفاهم بين بلاد باكستان وجارها الضخم .

قد حلت اللغة الهندية، كلغة قومية، لا على محل اللغة الأردية فقط، بل على اللغة الهندوستانية أيضا في جميع بلاد الهند.وهذا من المبرر تماما أن يختار سكان الهند أي لغة يعتبرونها أكثر مناسبة وتبريرا من الجهة التأريخية كلغتهم القومية، كما أن من حقهم أن يختاروا ما يكون لهم أنسب من اللغات كلغتهم الرسمية. أما اختياركم للغة الأردية في باكستان، فلا يحسّن أو يساند علاقاتكم بجاركم (الهند) كما أنه لا يساعد

هل أصبحت الأردية لغة مسلمي الهند في عصر مجدهم؟ ما اعتبرت هذه اللغة لغة الحكام قط خلال العصر الأفغاني الطويل. أما في عصر الإمبراطورية المغولية ـ عصر نموها وازدهارها ـ ، فلم تكن لغة المثقفين إذ ذاك. أتحدى كل واحد أن يأتي برسالة أو أي شيئ للملوك المغوليين أورنكزيب، وشاهجهان، وجهانكير، وأكبر، وهمايون أو بابرنُسخ في الأردية. ماكانت اللغة المنطوقة بها في الديوان الملكي ماكانت إلا الفارسية أو، أحيانا، التركية. قرأت كثيرا من مكتوبات أورنكزيب المكتوبة في الفارسية الرائعة. ويحدث مثله فعلا لو زرتم قصر التاج، وقرأتم ما هو مكتوب على ضريحة الملك وزوجته الشهيرة. كانت الفارسية لغة الديوان الملكي والمثقفين حتى أوائل القرن التاسع عشر. كان المفكرون الهنادكة في بنغال الأقصى يستخدمون ويكتبون في الفارسية لا الأردية. و ما زالت الفارسية حتى زمن ميكالي لغة الطبقات العليا البنغالية بصرف النظر عن ديانتها، كما كانت لغة الوثائق الرسمية، والمحاكم العالية المتنوعة .

حقائق تأريخية

من واجبنا أن نواجه الحقائق التأريخية. أصبحت الأردية لغة المسلمين الهنديين بعد أن وقعوا في الزوال. إنها لغة متعلقة بالزوال. كان شعراءها الكبار ظهروا في الزوال. أكبرهم وآخرهم (العلامة) محمد إقبال الذي، تحت تأثير نزعة النهضة، ترك الشعر الأردي لأجل الشعر الفارسي. قد كنت حاضرا في جلسة عقدها الفحول مثل البروفيسور نيكالسون في شرفه حيث قال إنه توجه إلى قول الشعر الفارسي لأنه متعلق بمجد العهد الإسلامي لا بشقاه. فهل يصح أن تعتبر لغة عصر الزوال لغة قومية للنهضة الشعبية الشاملة؟

كان جميع رجال الأردية منتسبين إلى عصر أكبر كآبة وهزيمة. و كانت المحاولة بأن تكشف سبل التفاهم الجيد بين أغلبية المواطنين تبدو شرعية إذ ذاك. أما اليوم، فقد وزعت المناطق التابعة لبريطانيا في شعبين كبيرين مستقلين، وترجو كافة العالم من كلا الفريقين بأن يقبلا بهذا التقسيم معتبرين إياه نهائيا. هل هي (الأردية) لغة طبيعية و شعبية للسكان القاطنين في باكستان؟ هل هي ما تسمعون في شوارع داكا وتشيتا غانغ (مدينتين في بنغلاديش حاليا) ؟ هل هي لغة إقليم الحدود الشمالية الغربية؟ هل هي لغة (إقليم) السند؟ هل هي لغة (إقليم) البنجاب؟ صحيح إن المسلمين والهنادكة في بعض المناطق قد وجدوا فيها رباطا مشتركا

من كانوا منشئ الأردية؟ ما هي جذور الأردية؟ من أين نبعت؟ إن الكثيرين من الناطقين باللغة الهندية المتبعين للمخيم الاستعماري والذين لهم اتصال بالمحاكم الاستعمارية قد أدخلوا، مع مرور الزمن، كثيرا من المفردات العربية والفارسية في لغتهم أنفسهم، كما أصبحت الألفاظ الإنجليزية مثل" Glass" و" Cup" جزءا من الصورة الجديدة للأردية التي يقال لها "هندوستاني".

أتجعلون لغة المخيم أو المحكمة اللغة القومية لمملكتكم المولودة حديثا؟ كل طفل مسلم، بمستواه الاقتصادي العادي، سواءا أكان من داكا أو كويتة، يتعلم القرآن في العربية كما يتعلم الحروف الأبجدية لكى يتلو القرآن. اللغة العربية هي لغة الإسلام، القرآن في العربية، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في العربية، كما أن أعظم صورة من التراث العربي في الأندلس كان في اللغة العربية. فالواجب على أطفالكم أن يتلقوا بعضا من اللغة العربية دائما. ويحدث مثل ذلك الوضع في جانبكم الغربي، سواءا أكان في السند، أو في بلوجستان، أو في الشمال. فمن الوجهة العملية والعالمية، إن العربية، كلغة قومية، ستعطيكم اتصالا عاجلا لا بـ 40 مليونا (الآن 300 مليون) من العرب الناطقين بالضاد، بل بـ 60 مليونا آخر من الذين يتواجدون في إفريقيا غير مستقلين ، ويتكلمون العربية قليلا أوكثيرا.

وإلى أبعاد المحيط الأطلنطي، ليس في الشمال فقط، بل في الجنوب حتى نايجيريا والساحل الذهبي، تلم بهذه اللغة الطبقات العالية من القاطنين. وفي كافة السودان، على نهر النيل أو تحت حكم الفرنسيين، ما دامت هذه اللغة منتشرة حتى حدود إفريقيا الغربية البرتغالية، كما أنها تعرف في إفريقيا الشرقية، ليس في زنزيبار فقط بل بين السكان المسلمين في أقصى البلدان حتى مدغاسقر، وإفريقيا الشرقية البرتغالية. وإذا توجهنا إلى الشرق الأقصى، نجد أن العربية قد راجت في جميع المنطقة التي يسكن فيها 80 مليونا مسلما من بلدان إندونيسيا، وملايا، وفيليبين. وفي سيلون (سري لنكا حاليا)، كان أولاد الطبقات ذات الثروة يلمون بهذه اللغة. أليس من الصحيح والملائم أن تجعل دولة باكستان العظيمة، بمكانتها المركزية الجغرافية كجسر بين مائة مليون من المسلمين في الشرق ومائة مليون في الغرب ـ موقعها من فيليبين، ودولة إندونيسيا الكبرى، وبرما في الشرق مع 100 مليون في الغرب من إفريقيا إلى الأطلنطي- اللغة العربية لغة قومية، ولا تعزل نفسها عن جيرانها والعالم الإسلامي بلغة تتعلق بعصر زوال الدولة الإسلامية. وفي النهاية، إن اللغة العربية، كلغة عالمية للعالم الإسلامي ستوحد، بينما اللغة الأردية ستفرق وتعزل.

سادتي! إخواني في الإسلام! شعب باكستان! سكان كل إقليم! أرجوكم أن تقوموا بمناقشة فيما بينكم، وتدعوا كل واحد إلى أن يساهم برأيه، قبل أن تقوموا بقفزة نهائية ومهلكة. تأنوا وتدبروا.

مرة أخرى أطلب العفو من الذين ربما أغضبتهم، كما أعرض على الجميع الآخرين أن يعتنوا بالحقائق التأريخية والراهنة.

أدعو الله بأن يرشد سكان هذه البلاد قبل أن يقرروا."(16)

ثانياً: تحليل الخطبة

تناول السر آغا خان الثالث موضوعه مباشرة بعد أن اعترف اعترافا بأن كلمته التي هو ذاهب إلى إلقاءها واجبه الديني كما أنه لا يخاف من أنها سوف تجعله " غير شعبي في عيون الطبقات الهامة" . ولو نظرنا إلى خطبته من الوجهة التحليلية، نجد أنها، في الأصل، تشتمل على مقطعين متتاليين تكوّن فيما بينهما وحدة في الموضوع،وهو اختيار اللغة العربية لغة قومية ورسمية لباكستان .

ففي المقطع الأول، يقدم معالي السر آغا خان الثالث عدة دلائل ضد جعل اللغة الأردية لغة قومية للبلاد. وفي وسعنا أن نحدد حججه في نقاط تالية :

1. **إن بلاد الهند ، بعد تقسيم شبه القارة الهندية والباكستانية في قسمين ، لم تختر اللغة الأردية لغتها القومية التي بإمكانها أن تكون وسيلة الترابط والاتصال بين البلدين . فيتحتم بنا أن لا نختار أيضا هذه اللغة لعدم وجود أي اتصال لغوي بين المملكتين، إذ، يقول نفسه، " لو كان الجزء الآخر من إمبراطورية الهند البريطانية جعل الأردية لغته القومية، لكانت لباكستان حجة قوية بأن تحذو حذوه."(17)**
2. **إن اختيار باكستان للغة الأردية كلغة قومية لا يساهم في تحسين أو مساندة العلاقات بين الدولتين، كما أنه لا يساعد المسلمين المتبقين، في صورة الأقلية، في الهند لأن اللغة الهندية " قد حلت، كلغة قومية، لا على محل اللغة الأردية فقط، بل على اللغة الهندوستانية أيضا في جميع بلاد الهند."(18)**
3. **إن البنية الأساسية للغة الأردية معتمدة على اللغة الهندية، لا على اللغة العربية، رغم أن عددا لا يحصى من المفردات العربية يوجد في الأردية. يقول نفسه: " مهما تضيفوا إلى اللغة الأردية من ألفاظ عربية وفارسية، فليس من الممكن أن ترفض حقيقة أن نحوها، وهيئتها، وقواعدها اللغوية مستنبطة من اللغة الهندية لا من اللغة العربية."(19)**
4. **كانت اللغة الأردية رمز عصر الزوال للمسلمين في شبه القارة. ما كان الحكام المسلمون ، من العصرين الأفغاني والمغولي حتى القرن التاسع عشر ،ولا المثقفون يستخدمونها في كتاباتهم الرسمية والعلمية ، بل كانت الفارسية هي اللغة المنطوقة في ديوانهم الملكي ، كما كانت**

لغة الوثائق الرسمية والمحاكم المتنوعة. هنا يقدم معالي السر آغا خان إلى مستمعيه تحديا بهذه الألفاظ :

" أتحدى كل واحد أن يأتي برسالة أو أي شيئ للملوك المغوليين أورنكزيب، وشاهجهان، وجهانكير، وأكبر، وهمايون أو بابرنُسخ في الأردية. اللغة المنطوقة بها في الديوان الملكي ليست إلا الفارسية أو، أحيانا، التركية. قرأت كثيرا من مكتوبات أورنكزيب المكتوبة في الفارسية الرائعة. ويحدث مثله فعلا لو زرتم قصر التاج، وقرأتم ما هو مكتوب على ضريحة الملك وزوجته الشهيرة. كانت الفارسية لغة الديوان الملكي والمثقفين حتى أوائل القرن التاسع عشر. كان المفكرون الهنادكة في بنغال الأقصى يستخدمون ويكتبون في الفارسية لا الأردية. و ما زالت الفارسية حتى زمن ميكالي لغة الطبقات العليا البنغالية بصرف النظر عن ديانتها، كما كانت لغة الوثائق الرسمية، والمحاكم العالية المتنوعة."(20)

ثم يستعرض الخطيب فكرته من الوجهة الأدبية ، ويرى أن الشعراء الفحول للغة الأردية قد ظهروا في عصر الانحطاط حتى أن الشاعر العلامة الدكتور محمد إقبال الذي يعد أكبر شعراء الأردية ترك الشعر الأردي لأجل الشعر الفارسي الذي يتعلق بمجد العهد الإسلامي ، ويستنتج نهائيا قائلا ومستفهما بأنه " هل يصح أن تجعل لغة عصر الزوال لغة قومية للنهضة الشعبية؟"(21)

5. ما زالت اللغة الأردية رباطا مشتركا بين المسلمين والهنادكة بعد زوال الإمبراطورية المغولية ، لكن ، بعد أن قسم شبه القارة في جزءين كبيرين مستقلين، انقطع ذاك الرباط. ولذلك قد أدخل الناطقون باللغة الأردية الذين لهم اتصال بالمخيم الاستعماري كثيرا من المفردات العربية والفارسية والإنجليزية في لغتهم أنفسهم. فالواجب، في رأي الخطيب، " أن تكشف عن صور أخرى من الجسور للتفاهم المتبادل."(22)

والمقطع الثاني لخطابه يدور حول حقائق تتطلب أن تكون اللغة العربية لغة قومية ورسمية للبلاد، وهي:

1. لكل شخص باكستاني اتصال دائم ومستمر، منذ طفولته، باللغة العربية يتلقاها ويتعلمها لأنها لغة دينه وتراثه الإسلامي. ففي لفظه :

" كل طفل مسلم، بمستواه الاقتصادي العادي،..... يتعلم القرآن في العربية كما يتعلم الحروف الأبجدية لكي يتلو القرآن. اللغة العربية هي لغة الإسلام، القرآن في العربية، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في العربية، كما أن أعظم صورة من التراث العربي في الأندلس كان في اللغة العربية."(23)

2. إن اللغة العربية لغة ينطقها ويتفاهمها ملايين من الناس في كافة العالم من أبعاد المحيط الأطلنطي في الشمال إلى أقصى الجنوب حتى نا يجيريا و إلى الشرق الأقصى من بلدان إندونيسيا و ملايا وفيليبين. و إذا جعلنا اللغة العربية لغة قومية لنا، ستعطي هذه اللغة " اتصالا عاجلا" بملايين من العرب وغير العرب.

3. إن اللغة العربية لغة ينطقها ويتفاهمها ملايين من الناس في كافة العالم من أبعاد المحيط الأطلنطي في الشمال إلى أقصى الجنوب حتى نا يجيريا و إلى الشرق الأقصى من بلدان إندونيسيا و ملايا وفيليبين. و إذا جعلنا اللغة العربية لغة قومية لنا، ستعطي هذه اللغة " اتصالا عاجلا" بملايين من العرب وغير العرب.

أسلوب الخطبة

ألقى الخطيب هذه الخطبة في اللغة الإنجليزية، فالتزم فيها بمعظم لوازم الخطبة مثل قوة البيان، وجزالة الألفاظ مع الإيجاز والفصاحة، كما تزخر خطبته هذه بالعواطف الدينية والقومية الصادقة الخالية من جميع مظاهر الصنعة والتكلف. قدم دلائله مفعمة بالحقائق التأريخية الواضحة.

وجملة القول، إن خطبة معالي السر آغا خان قطعة لا نظير لها من حيث أهميتها وقيمتها التأريخية في حركة تعريب باكستان فور إنشائها. إنها تدل على بعد نظره، وعاطفته الدينية، وحبه لبلاده واللغة العربية .

*****

الملحق

هذا هو نصه الإنجليزي لخطابه. ألحقته لإتمام الفائدة.

Arabic : Universal Language of Muslim World
(An address by the late H.H.Sir Sultan Mohammed Shah Aga Khan at a session of Motamer al-Alam-al-Islamiyya)

Karachi, Pakistan, February 9, 1951

Mr. President, Brother Muslims:

I can assure you that it is not with a light heart that I address you this evening. I fully realise that what I am going to say will make me most unpopular with important sections of the population. However, I would be a traitor to Islam if I let this opportunity pass without placing before the people of this powerful and populous Islamic nation the views which I consider my duty to place before the Muslims with as many of the arguments as I am capable of using in a short address. I fear some of my arguments will mortally offend those who under totally different conditions gave so much of their life for the support of the cause which I think today has been passed by events far more important than any dreamt of in those days.

I feel the responsibility greater than any I can think of to place my views and arguments before the Muslim population of Pakistan as a whole - each and every province - while what I consider a tragic and deadly step is not yet taken and not added to the constitution of this realm.

The language of a nation is not only the expression of its own voice but the mode of interpretation with all other human societies. Before it is too late, I, an old man, implore my brothers in Islam here not to finally decide for Urdu as the national language of Pakistan but to choose Arabic. Please hear my arguments.

First my argument against Urdu. If what was the other part of the former British Empire of India had made Urdu its national language, there would have been a great argument for Pakistan doing ditto. It could have been a linguistic and important point of contact with the vast Republic of the South. I am the last man on earth to desire to break any bridge of contact and understanding between Pakistan and its immense neighbour.

Not only Urdu but even Hindustani has been replaced by Hindi throughout Bharat as the national language. The people of Bharat were perfectly justified to choose any language which the majority considered most appropriate and historically justified to be their national language. The majority there has the right to choose what was most suitable for them as the official language of the country. Your choice in Pakistan of Urdu will in no way ameliorate or help your relations with your neighbour, nor will it help the Muslim minorities there in any conceivable way. Howsoever, you may add Arabic and Persian words to Urdu; there is no denying the fact that the syntax, the form, the fundamentals of the language are derived from Hindi and not from Arabic.

Was Urdu the language of the Muslims of India at the time of their glory? During the long Pathan period, Urdu was never considered the language of the rulers. Now we come to the Moghul Empire in the period of its glory. It was not the language of the educated. I defy anybody to produce a letter or any other form of writing by Emperors Aurangzeb, Shah Jehan, Jehangir, Akbar, Humayun or Babar in Urdu language. All that was spoken at the Court was Persian or occasional Turkish. I have read many of the writings of Aurangzeb and they are in beautiful Persian. Same is true if you go to the Taj Mahal and read what is written on the tombs of the Emperor and his famous consort. Persian was the court language and the language of the educated and even till the early 19th century in far Bengal, the Hindu intelligentsia wrote and used Persian and not Urdu. Up to the time of Macaulay, Persian was the language of Bengali upper classes irrespective of faith and of official documents and various Sadar Adalat.

Historical facts

We must look historical facts in the face. Urdu became the language of Muslim India after the downfall. It is a language associated with the downfall. Its great poets are of the downfall period. The last and the greatest of them was lqbal, who with the inspiration of revival gave up Urdu poetry for Persian poetry. There was a meeting in Iqbal's honour in London organised by men such as Prof. Nicholson.

I was present at that meeting. Iqbal said that he went in for Persian poetry because it was associated with the greatness of the Islamic epoch and not with its misfortunes. Is it right that the language of the downfall period should become the national language of what we hope now is a phoenix-like national rising? All the great masters of Urdu belong to the period of greatest depression and defeat. It was then a legitimate attempt by the use of a language of Hindi derivation with Arabic and Persian words to find ways and means of better understanding with the then majority fellow countrymen. Today that vast British dependency is partitioned and succeeded by two independent and great nations and the whole world hopes that both sides now accept partition as final.

Is it a natural and national language of the present population of Pakistan? Is it the language of Bengal where the majority of Muslims live? Is it what you. hear in the streets of Dacca or Chittagong? Is it the language of the North West Frontier? Is it the language of Sind? Is it the language of the Punjab? Certainly after the fall of the Moghal Empire, the Muslims and Hindus of certain areas found in it a common bond. But now today other forms of bridges must be found for mutual understanding.

Who were the creators of Urdu? What are the origins of Urdu? Where did it come from? The camp followers, the vast Hindi-speaking population attached to the Imperial Court who adapted, as they went along, more Arabic and Persian words into the syntax, of their own language just as in later days the English words such as glass and cup became part of a new form of Urdu called Hindustani.

Are you going to make the language of the Camp, or of the Court, the national language of your new-born realm? Every Muslim child of a certain economic standard learns the Quran in Arabic, whether he is from Dacca or Quetta. He learns his Alif-Be to read the Quran. Arabic is the language of Islam. The Qur'an is in Arabic. The Prophet's hadith are in Arabic. The highest form of Islamic culture in Spain was in Arabic. Your children must learn Arabic to a certain extent always. The same is true of your West whether Sind, Baluchistan or the North. From the practical and

worldly point of view, Arabic will give you, as a national language, immediate contact not only with the 40 million Arabic-speaking people of independent nations on your West, but the other 60 million more or less Arabic-speaking people who are not independent but who exist in Africa.

Right up to the Atlantic, not only in North but as far South as Nigeria and the Gold Coast, Arabic is known to the upper classes of the population. In all the Sudans, on the Nile or under French rule, Arabic is the language right up to the borders of Portuguese West Africa. In East Africa, not only in Zanzibar but amongst the Muslim population of even countries as far apart as Madagascar and Portuguese East Africa, Arabic is known. If we turn to the Far East, Arabic has prospered throughout the region inhabited by 80 million Muslims of Indonesia, Malaya and Philippines. In Ceylon, Muslim children of the well-to-do classes get some knowledge of Arabic. Is it not right and proper that this powerful Muslim State of Pakistan, with its central geographical position, its bridges between the nearly 100 million Muslims of the East and 100 million Muslims of the West - its position of the East from Philippines and the Great State of Indonesia and Malaya and Burma and then westward with the hundred millions in Africa, right up to the Atlantic, should make Arabic its national language and not isolate itself from all its neighbors and from the world of Islam with a language that was associated with the period of downfall of Muslim States. And finally, whi1e Arabic, as a universal language of the Muslim world will unite, Urdu will divide and isolate.

Gentlemen, brothers in Islam, people of Pakistan, people of every Province, I appeal to you, before you take the final and what I unfortunately must say, I consider, the fatal jump down the precipice, please discuss and let all and every one contribute their views. Take time and think over it.

Once more I appeal for Islamic charity from those whom I may have offended and I appeal to all others to look to the facts in the face both historically and as they exist at present.

I pray that the people of this country may be guided by Divine Wisdom before they decide.[24]

*****

الهوامش

(1) دليل ذلك أن أول دستور للمملكة ظهر في سنة 1956م أي بعد تسع سنوات من إنشائها.

(2) الدكتورالسيد عبدالله، كلجر كا مسئله (مشكلة الثقافة)، سنك ميل ببليكيشنز، لاهور، 2001م، ص 33

(3) ال دكتور سمير عبد الحميد،اللغة العربية وقضية التنمية الغوية في باكستان ، نقلاً عن: الدكتور خالق داد، أضواء على تعليم اللغة العربية في باكستان جامعة بنجاب، 2000م ، ص 27.

(4) انظر للتفصيل:د. خالق داد، أضواء على تعليم اللغة العربية في باكستان. ص ص 29-32

(5) بلبل شاه، سر امام سلطان محمد شاه آغا خان ثالث كي عربي خدمات (خدمات السر الإمام سلطان محمد شاه آغا خان الثالث للعربية) مقالة أردية نشرت في كتاب : باكستان مين فروغ عربي (نهوض اللغة العربية في باكستان)، د. حبيب الحق الندوي، طبع في كراتشي، سنة 1975م، ص 199.

(6) هو لقب شرف، حمله الأئمة الإسماعيلية النزارية المتأخرون. واللفظ فارسي الأصل، ويعني ''سيد السادات''.

(7) جامعة بنجاب، أردو دائره معارف إسلامية (الموسوعة الأردية للمعارف الإسلامية)، ج 1 ص ص130- 133.

(8) المرجع نفسه

(9) للتفصيل راجع: مهير بوس، آغا خان (بترجمته الأردية من حميد أختر) ص 114، 152،259، 382 ـ وجعفر السبحاني،بحوث في الملل والنحل، الحوزة العلمية، قم، إيران،1408هـ، ج8، ص ص 177-181.

(10) أردو دائره معارف إسلاميه، ج1 ص133 ـ و فرحان عبدالله ، "آغا خان ووزن الذهب" مقالة نشرت في جريدة "الوطن"،الكويت،إصدار:الخميس 28 يونيو،2007م. يمكن الوصول إلى المقالة عن طريق:
htpp://www.alwatan.com.kw/Default.aspx?MgDid=367242&pageId=80

(11) الموسوعة العربية (طبعة إلكترونية)، الموزع الحصري،دار الفكر،دمشق، سوريا. ويمكن الوصول إلى المقالة عن طريق:
http://www.areb-ency.com/index.php?module=pn Encyclopia&func=display_term&id=1676

(12) المرجع نفسه

(13) المرجع نفسه

(14) للتفصيل راجع: الموسوعة العربية.

(15) أما نصها الإنجليزي،فقد ألحقته في آخر المقالة.

(16) أخذت نص الخطبة الإنجليزي من الموقع الشبكي للفرقة الإسماعيلية، ويمكن الوصول إليها عن طريق:
http://www.ismaili.net/sultan/5msms.html

(17) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(18) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(19) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(20) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(21) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(22) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(23) راجع إلى النص العربي للخطبة.

(24) يمكن الوصول إلى النص الإنجليزي عن طريق:
http://www.ismaili.net/sultan/5msms.html

المصادر والمراجع

1. آغا خان ،مهير بوس، (بترجمته الأردية من حميد أختر)، جمهوري ببليكيشنز، لاهور، 2003م.
2. أردو دائره معارف إسلامية (الموسوعة الأردية للمعارف الإسلامية)، جامعة بنجاب، 1964م
3. أضواء على تعليم اللغة العربية في باكستان، الدكتور خالق داد ، كلية الدراسات الإسلامية والشرقية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، سنة 2000م.
4. باكستان مين فروغ عربي (نهوض اللغة العربية في باكستان)، د. حبيب الحق ألندوي، طبع في كراتشي، سنة 1975م.
6. بحوث في الملل والنحل، الشيخ جعفر السبحاني، الحوزة العلمية، قم، إيران، 1408هـ
7. كلجر كا مسئله (مشكلة الثقافة)، الدكتورسيد عبدالله، سنك ميل ببليكيشنز، لاهور، 2001م.
8. الموسوعة العربية (طبعة إلكترونية)، الموزع الحصري،دار الفكر،دمشق، سوريا، وعنوان موقعه : http:// www.areb-ency.com
9. الموقع الشبكي للفرقة الإسماعيلية. عنوانه: http://www.ismaili.net
10. "الوطن"، جريدة يومية تنشر من: دار الوطن للصحافة والطباعة والنشر، الكويت، وعنوان موقعه : http://www.alwatan.com.kw

❖❖❖